يا جامع المال اياما تفرقه   المال عندك مخزون لوارثه   ما المال مالك الا يوم تنفقه
ارفه ببال فتى يغدو على ثقة   ان الذي قسم الارزاق يرزقه   فالعرض منه مصون ما يدنسه
والوجه منه جديد ليس يخلقه   ان القناعة من يحلل بساحتها   لم يلق في ظلها هما يؤرقه

بيان فضل الفقر على الغنى اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقير وقال ابن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال دعا الجنيد على ابن عطاء لمخالفته اياه فيه فاصابته محنة وقد ذكرنا في كتاب الصبر وجه التفاوت بين الشكر والصبر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل اما تصور الشك في مقامين احدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنها وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه واما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء ايضا لما سئل عنه فقال الغني افضل لانه وصف الحق اما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على ان الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني

رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء اما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني ثواب الفقراء على الذكر واما قوله ان الغني وصف الحق فقد اجابه بعض الشيوخ فقال اترى ان الحق غني بالاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق واجاب آخر فقالوا التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر وحاصلها تعلق بعمومات تقبل التاويل وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغني بانه وصف الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الغني لانه وصف العبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم وكشف الغطاء في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضيلته والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله

العائق